تجليات الحجاج وأبعاده التأويلية في الخطاب الأسطوري

شجرة القماري أنموذجا

أ . علي فطحيـــــزة علي
alifethiza2020@gmail.com
جامعة الجزائر2

ملخص :

الحجاج من إحدى الآليات اللغوية التي ترسخ الخطاب، للوصول به عمقا وتأويلا لتنكشف أبعاده اعتبارا لضوابط ومعايير محكمة ذات ألفاظ لغوية وبلاغية تحتم وجود طرفين أساسيين، ويتجلى أكثرها في خطابات مقدسة كالأساطير، لترسخ ذهنيا كمسلمات وحقائق تعرف بالتأويل الهرمينوطيقي، ويتضح ذلك من خلال أنموذج تطبيقي لخطاب أسطوري أخذناه من كتاب تاريخ العدواني.

الكلمات المفتاحية:

– الحجاج – التأويل – القماري – المقدس – الهرمينوطيقا

-: ABSTRACT-
This is evidenced by an applied model of a mythical discourse that we have taken from the book of history. It is the most important of all, Aggressive

Keywords:
- Pilgrims - Interpretation – The moon - Holy – Herminutics

توطـــئـــة:

منذ آلاف السنين عرفت بلاد الرافدين عدة حضارات عريقة متعاقبة، تجلت بين ثناياها أساطير كانت هي المرجع الأساس لكل الأمم والشعوب، ومما لاشك فيه أن الأسطورة تسعى دوما إلى التبليغ والإقناع، ومن هنا تتضح أهمية مواكبة الحجاج للأسطورة، إذ أنّه يعد ركيزة أساسية لها.

كما يعتبر الحجاج أحد الآليات اللغوية التي تسهم في الوصول إلى أعماق الخطاب وخباياه فتكشف أبعاده التأويلية، من خلال مجموعة روابط ومعايير أساسية تتحكم في الملفوظ الحجاجي، من جميع جوانبه لغة وبلاغة ... ومهما كان نوع هذا الخطاب فإنه يستوجب بالضرورة حضور طرفين أساسيين وهما: المرسل والمتلقي.

ويتجلى الحجاج أكثر في الخطابات المبنية على مرجعية قدسية، حيث المرسل يسعى جادا إلى إقناع المتلقي، ومن ثم يرسخها في الذهن كحقائق ومسلمات عن طريق التأويل الهرمينوطيقي.

ومنه يمكننا أن نطرح الإشكال التالي: ما مدى تجلي الحجاج في الخطاب الأسطوري؟ وما هي أبرز أبعاده التأويلية؟

وللإجابة على هذه الإشكالية اخترنا نموذجا تطبيقيا موسوما بـ:(شجرة القماري) من كتاب تاريخ العدواني، حيث لمسنا فيه المدونة المناسبة للموضوع على اعتبار أنه يحمل بين طياته ما نحن بصدد دراسته، وهذا الكتاب يعد من المصادر التاريخية والأدبية المغاربية القديمة.

وقد تناولنا هذا الموضوع من جانبين، أولهما نظري تطرقنا من خلاله إلى مجموعة من المفاهيم الأساسية ذات الصلة بالموضوع، وثانيهما تطبيقي حاولنا من خلاله تحليل الأسطورة، فركزنا بذلك على استنباط الآليات الحجاجية ومحاولة الوصول إلى التأويل الهرمينوطيقي وكشف أبعاده وبنياته العميقة.

– مفهوم الحجاج:

اهتمت الدراسات الحديثة بموضوع الحجاج اهتماما بالغا، سواء باعتباره مبحثا لسانيا بحتا أو باعتباره مبحثا منطقيا وفلسفيا أوتداوليا...، وقد كان المقصد الأساسي من وراء هذا الاهتمام هو إعادة بعث قضايا البرهان والجدل والمحاججة في المنطق والبلاغة الحديثة التي نشأت على أنقاض البلاغة القديمة ، ممّا يفتح الباب واسعا لتأويل الخطاب بشتّى أنواعه ، حيث يجعل التأويل ملازما للحجاج ونتيجة حتمية له.

أما المفهوم اللغوي للحجاج:

فنجد شبه إجماع في المعاجم العربية على مفهومه اللغوي، حيث جاء في لسان العرب لابن منظور: "يقال حاججته، أحاجه حجاجا حتى حججته: أي غلبته بالحجج التي أدليت بها، والحجة: الدليل البرهان، وقيل الحجة: ما دافع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل حاجج، أي جدل، وفي الحديث : (فحجّ آدم موسى) : أي غلبه بالحجة"[1].

فالحجة مرادف للدليل، والحجاج هو القول البرهان والدليل عند التخاصم، والمقصود منه " إلزام الخصم وإسكاته"[2].

وأما في مفهومه الاصطلاحي:

فيعرف الحجاج بتقديم الحجج والأدلة المؤدّية إلى نتيجة معينة، والخطاب الحجاجي هو:

"خطاب موجّه، وكل خطاب يهدف إلى الإقناع يكون له بالضرورة بعد حجاجي"[3] ويربط "بيرلمان " الحجاج بالإقناع حيث يعتبره " جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الإقتناع بما نعرضه عليه، أو الزيادة في حجم هذا الإقتناع"[4].

أمّا من وجهة نظر فلسفية فقد اعتبر أرسطو الحجاج " سلسلة من الأدلة تفضي إلى نتيجة واحدة ، أو الطريقة التي تطرحها الأدلة "[5]

وقد رأى أبو الوليد الباجي أن الحجاج " يعدّ علما من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا، لأنه السّبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتّضحت محجّة ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم " [6] ، وقد ذكر بيرلمان أن الحجاج يتميز بخمسة ملامح رئيسية وهي: [7]

1- أن يتوجه إلى مستمع.

2- أن يُعبّر عنه بلغة طبيعية.

3- مسلّماته وبديهيّاته لا تعدو كونها احتمالية.

4- ألّا يفتقر تقدّمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

5- نتائجه غير ملزمة (احتمالية غير حتمية)

- **مفهوم الأسطورة:**

تأخذ الأسطورة معنى جدليا واسعا- من حيث اللغة أو المصطلح - لم يتفق حوله النقاد والباحثون.

لغة: جاء في لسان العرب: "سطر السطر، والسطر الصف الأول من الكتاب والشجر والنخل ونحوها، والجمع من كل ذلك أسطر وأسطار وسطور وأساطير..والأساطير الأباطيل. والأساطير: أحاديث لانظام لها"[8].

وجاء في تفسير الطبري للآية 25 من سورة الأنعام: ((... **حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**))

و " الأساطير " جمع " إسْطارة " و " أُسطُورة " مثل " أفكوهة " و " أضحوكة " = وجائز أن يكون الواحد " أسطارًا " مثل " أبيات "، و " أبابيت "، و " أقوال وأقاويل "، من قول الله تعالى ذكره: وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ، [سورة الطور: 2] . من: " سَطَرَ يَسْطُرُ سَطْرًا"[9].

وجاء في المنجد اللغوي:"سطر: ألف الأساطير، سطر القرطاس: رسم عليه خطوطا يحتذيها في الكتابة، لأجل استقامة السطر، وسطر عليه جاءه بأحاديث تشبه الأباطيل...والأسطورة أو الأسطيرة جمع أساطير، وهي الحديث الذي لاأصل له"[10]

اصطلاحا: ونأخذه كما جاء في المعجم الفلسفي، "حيث وردت كلمة أسطورة MYTH الأصل اليوناني للفظة الأجنبية mythos يعني قصة شعرية وتعرف خطأ بأنها قصة خرافية أومعتقدات خرافية، إذ هي تصور شامل عن العالم وعن مكانة الإنسان في الطبيعة.

واللفظة الإنجليزية حديثة العهد فهي صكت منذ أكثر من مائة وخمسين (150) عاما"[11].

وعرفها صاحب المتقن: "هي حكاية أو رواية شعبية أو إنسانية متصلة بحياة إحدى الأمم تهدف إلى التعبير عن بطولة أو قيمة ذات أثر مهم في نفوس الناس أو الأمة وليس لها مؤلف محدد"[12]

وتشترط الباحثة: فضيلة عبد الرحيم، لتحقيق الأسطورة لابد من الإيمان الجازم والاعتقاد المصاحب لها :"الأسطورة موضوع اعتقاد..."[13].

والأسطورة محل تقاطع وخلاف مع الخرافة وبشروط هي:"ولنميز الخرافة من الأسطورة لابد من فهم شروط وضوابط لابد من توفرها"[14].

ويبقى الخلاف قائما في الفصل كليا بين علاقة الأساطير بالدين، والتاريخ واللغة والسحر والشعوذة والبدائية...وعليه يقول عماد الخطيب: "يصعب الفصل كليا بين الدين والسحر والبدائية، وارتباط كل منهما بالأسطورة"[15]

السياق الثقافي لصاحب النص (محمد العدواني):

مولده ونشأته:

تذهب أغلب الروايات أنه عاش بين أواخر القرن السابع عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر ميلادي (17-18م) تقريبا وهو ما يوافق القرنين الحادي والثاني عشر هجري (11 – 12 م)، أما اسمه فمحمد بن محمد اللجّي السوفي يقول أبوالقاسم سعدالله: " أما التقاليد الشعبية فتذكر أن العدواني كان من كبار متصوفة زمانه وأنه دفين الزقم وأن هناك مسجدا يحمل اسمه ربما بني قبله أو كان في الأصل زاوية أو خلوة يتعبد

فيها... وأنه قد حج ثلاثين مرة وهو رقم قد يكون فيه مبالغة كبيرة في ظروف ذلك الوقت وقد يكون ذلك الحج المتعدد قد وقع عن طريق المكاشفة والتغيب الصوفي مثل الرحلات التي كان يقوم بها للشيخ البكري في الشام، والرحلة الخيالية إلى الهند وبورنو" [16]

شيوخه وتلاميذه : [17]

وأولهم قدوته ومعلمه الشيخ البكري، ثم المعلم والمربي عباس الغريب والزقّام عمارة بن محمد والشيخ قاسي بن عسيرة.

أما تلاميذه فلم ترد أسماؤهم إلا صفوان الطرودي.

منزلته العلمية:

وحسب رأي الباحثين ومنهم علي غنابزية[18] وأبوالقاسم سعدالله، إذ يتفقان على أهمية كتابه وما يحمل من معلومات تاريخية وأدبية تعتبر مرجعا أساسيا لمنطقة الجنوب التونسي ووادي سوف والواحات .

" إن كتاب العدواني من جهة فيما يسمى بالتاريخ المحلي فهو يؤرخ لحياة القبائل التي استوطنت الجنوب الشرقي من الجزائر والجنوب الغربي من تونس وأصولها العربية ومسيرتها من المشرق إلى المغرب وصراعها ضد الحكام من حفصيين وعثمانيين ..."[19]

كما اعتبره الشيخ سعدالله مرجعا مهما في الأدب الشعبي بما يحمله من أساطير وحكايات ومغامرات وكرامات حيث شبهه بتغريبة بني هلال أو ألف ليلة وليلة، وتارة يشبهه بمسرحيات شكسبير[20].

مؤلفاته :

لم يترك العدواني إلا مؤلفا واحدا وهو المشهور بتاريخ العدواني الذي حققه أبوالقاسم سعدالله .

دلالة العنوان وأبعاده التأويلية :

يعتبر العنوان العتبة الأولى لولوج النص، إذ أننا ومن خلال هذا العنوان (شجرة القماري)، ترسخ في أذهاننا مرجعيات تقربنا من المعنى المقصود من النص، بل هو أدقّ من ذلك وإزاء تحليلنا للنص سعينا للوصول إلى المقومات الحجاجية التي يحملها هذا الخطاب وبعده، فخلصنا إلى أن الحجاج يمكن أن يساهم في إقناع المتلقي والتأثير فيه، وهذا بعد عودتنا إلى النص أين أسهب صاحبه وأشبعه بآليات وروابط حجاجية، تمثلت في عنوانه المركب من لفظين (شجرة – القماري)، وهو في جانبه النحوي قد أتى على شكل: مضاف + مضاف إليه، وهو خبر لجملة اسمية حذف فيها المبتدأ وتقديره (هذه)، وعلى ضوئها نستنتج أهمية العنوان كما سبق الذكر، فهو يحمل طاقة حجاجية تقود المتلقي للغوص في الأبعاد التأويلية، محاولا الوصول للبنية العميقة لفك الغموض والشيفرات، ولن يتأتى هذا إلا بالاطلاع الواسع على نص الأسطورة، وما تحمله من آليات وروابط حجاجية وظفها الراوي للوصول إلى خطاب مقنع.

الأبعاد التأويلية للنص:

والآلية الحجاجية التي استعان بها الراوي تمثلت في توجيه الخطاب إلى فئة معينة من المتلقين، ونستشف هذا من خلال الأفعال التي وظفها: (رحلنا – وصلنا – سلمنا – رد – قلت – قال لي – ...) وأغلب هذه الأفعال كان ماضيا، وهذا ما يوحي بأنها حكاية

وأسطورة من الزمن القديم، فحرص الراوي على تكريسها وغرسها في النفوس لتتلقاها اعتقادا وتسليما.

أما مقول القول فنجده يغلب على كامل الجمل والفقرات (قلت له – قال لي – قال لنا – ومنها أقول – قلت وأقول لك – قال الدليل ...الخ)، وكلها توحي بأن الراوي هو الفاعل بما يمليه من كلام، أما أفعال القول فكلها مفعول به كما يجمع عليه النحاة، ومن هنا تثبت قوة الفاعل وضعف المفعول به.

وأما الروابط الحجاجية من حروف الجر والعطف + إن+ لكن+ أسماء الإشارة والأسماء الموصولة والأفعال، وتسمى كلها بمظاهر الإتساق نحو: (على باب السربال – إلى طريق آخر- على بروكة – ثم على عين التمار- في أمرهم – وإذا برجل – قال لي – فإن حول الجبل – التي بها – عن هؤلاء ...) ومن خلال هذه الروابط الحجاجية المستعملة في النص، نستنتج أنه أسهب وأسهم في توظيفها خدمة للفكرة العامة، التي يحملها الخطاب، حيث أضفت على الخطاب مستوى تركيبيا غايته الأولى إقناع المتلقي واستمالته قصد التأثر فيه لقبول الفكرة الكامنة وراء الخطاب .

والجمل تنوعت بين اسمية وفعلية، تعجبية واستفهامية، قصيرة وطويلة، فتراوح أغلب الجمل القصيرة من الثلاث إلى تسع كلمات، وشذ عن هذا أربع جمل كانت كالتالي:

أ-(ثم سرنا الثلاثة حتى وصلنا لجة بحر غامق لونه كالليل المظلم وحوله نحو ألف راجل ينظرون بالمرآت الهندي) وعدد كلماتها ثمانية عشرة كلمة.

ب-(فيأتيه الأعاجم يصطادونه ويصير حجارا من حرارة بطنه فيلتقطوه ويحملوه إلى اهل الصنائع فيبيعوه سلماني) وعددها خمسة عشرة كلمة.

ج-(فلما وصلنا قرية لقيت رجلا اسمه محمد بن عمر بن سالم الفيافي) وعددها اثنتا عشرة كلمة.

د-(لايستطيع الصعود إلى القماري خوفا من الثعبان الذي تقدم ذكره) وعددها إحدى عشرة كلمة.

وسبب الطول والإطناب يرجع لأهمية الوصف والتشبيه وأضافة والبيان والحال والتمييز والمفعول لأجله والنواسخ والظروف... وكلها تدعى بالفضلة أو القيد، أما عن الروابط من حروف العطف والجر والقسم وأدواتي الجزم والنصب...فكلها روابط ضرورية تدعى بظواهر الاتساق والانسجام .

وعن الأسماء والأفعال فكانت الغلبة للأسماء، إذ زاد عددها عن مائة وخمسة وستين (165) اسما، وهي توحي بالسكون والجمود والقدم، حيث الكاتب كأنه لايريد أن يتغير الحال إلى الأسوء، وذلك لتردي الأوضاع المحيطة به اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا...أما الأفعال فكان عددها مائة وواحد تقريبا (101) إذ غلب عليها فعل القول:(قال- قلت – يقول لي- قلنا له- قال لي-...) وكلها تشير إلى المشاركة والحوار المتبادل وهذا هو الطابع المميز للقصة والحكاية فزادت الأسلوب مرونة وتواصلا رغم تكرارها.

وجاء اسم الإنسان في عدة مواضع: الراوي(محمد العدواني)، ويستعمل الضمير دائما، الشيخ البكري، صفوان، الحكاني، النجاشي، الرجل الدليل، الرجل الذي كلمهم عند الصيد.

وأما عن اسم الآلة:المراكب- البنادق- المرآة الهندي + أسماء الحيوانات والحيات: الفيل – الثعبان – الكلب.

وكل هذا الأسماء وغيرها تؤدي دورها في النص كأنها وسائل ضرورية لايمكن الاستغناء عنها وكأنها لبنات أساسية داخل جدار مرصوص يشد بعضه بعضا.

وعن حضور الأعداد+ التمييز: (عشرون رجلا، أربعون مركبا، عشرون ذراعا، سبعة أودية، ألف راجل...)

فمادام الراوي بصدد السرد والحكي الدقيق، استدعى الأمر حضور الأعداد وما يميزها ليفهم السامع ويتأثر بالكم الرقمي، إذ النفس بقدر ما تتأثر بالكيف، فإن تأثرها بالكم أكثر .

والحال تعددت من مفردة (يبيعونه سلماني، فبقينا متحيرين في أمرهم وإذا برجل) والحال الأخيرة تدل على الحيرة التي لم تدم طويلا وفجأة زالت بظهور الرجل.

الحال جملة فعلية: (وحوله نحوألف راجل ينتظرون) فكثرة عدد الرجال ألف مع شدة الانتظار والنظر بالمرآة يحدث من ورائه احتكاك وضجيج، استدعى الأمر أن تكون الحال جملة فعلية لتدل على الحركة والديناميكية فكان حضورها مناسبا جدا لم يغفل عنه العدواني.

الحال جملة اسمية: أ- واو الحال + جملة اسمية: - (عرضه عشرون ذراعا وذنبه متصل برأسه) فشدة الغرابة من طول الثعبان ثم اتصال رأسه بالذنب استدعى أن يكون الحال بالجملة الاسمية مع الواو.

ب- (ونحن جياع الأكباد، صعب علينا دخول البيوت)، فشدة الجوع حتى الطوى الذي أخذ منهم جهدهم وقوتهم حتى جعلهم يخافون صغار الفيل وكأن المسكوت عنه

بلاغيا هو ما يريد أن يقوله الراوي: ما كنا نخافها لولا شدة الجوع الذي أنهكنا حتى خارت قوانا.

السلّم الحجاجي: وقد أخذ مستويات ثلاث:

– السلم الأول: إن الراوي سلك مسلكا نظاميا فاستعمل المقدمة وهي فعل البداية (ورحلنا حتى وصلنا ...).

– السلم الثاني: الأحداث والوقائع التي يحكيها النص.

– السلم الثالث: الخاتمة أو نهاية المطاف وكيف ينتصر البطل ويحقق مآربه أو ينجو من الخطر.

– الأسلوب:

مادام النص حكاية سردية من عجائب أسفار الشيخ محمد العدواني يخبرنا فيها عن الأحداث والوقائع من بدايتها إلى نهايتها، فإن أسلوبه وصفي خبري وقد نجح العدواني في اختياره .

- كما نلاحظ **الطباق** في مثل: رحلنا – وصلنا، يدفعون – يرجعون.
- **والمقابلة** في مثل: سلمنا عليه – رد علي السلام، قال لي – قلت له، كلها تنبئ عن ثنائية المشاركة والتعاون والتكامل وهي سنة كونية حيث تقول الحكمة: (الأشياء بأضدادها تعرف)، قال الله تعالى: ((**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى**)) سورة الليل1-4
- **والجناس** في: (اسمه –سالم) حيث اشتركتا في ثلاثة أحرف وهو جناس ناقص.
- **والسجع** في: (أتى إلي—وقال لي، أخبرني–القماري، قال لي – يا بني).

- **والكناية** في: أ – (ثم سرنا الثلاثة) وهي كناية عن أدب السفر، فيستحسن شرعا ألا يقل العدد عن ثلاثة، إذ المسافر المفرد شيطان والمسافران شيطانان والثلاثة ركب.

ب – (ولم تلاق به عدوا أبدا.. قال لي على قبر النجاشي) وهي كناية عن مكانة النجاشي ومدى حبه وتقديره عند المسلمين- خاصة عند الرسول –صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام – وهذا عرفانا لفضله وكرمه وحسن وفادته للمهاجرين، ومنه كان دعاء الرسول له ولبلده – الحبشة – بالخير والبركة والأمان، والراوي – العدواني – إزاء هذا يستحضر شيئا من الماضي للتذكير به قدوة وتأسيا.

- **الاقتباس والتضمين:** وهو أن يضمن الكاتب في نصه شيئا من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف، وذلك باستعمال كلمة أو كلمتين فأكثر ، دون أن يقول قرآنا أو حديثا.

ومثاله: (فلم يفقه لنا قولا) مأخوذ من قول الله تعالى في سورة طه 27-28 : ((**وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي**)) وهذا من قبيل التوظيف الدلالي والمعجم التراثي.

- **التشبيه:** يكاد ينعدم هذا اللون من النص إلا في موضع واحد في(لونه كالليل) وجيء به للوصف والإيضاح والإبانة للشيء على حقيقته حتى يفهم السامع المتلقي، وكان ذلك في حقه دون إقحام ولاتكلف، أين زاد المعنى دقة ووضوحا وهو آلية حجاجية بلاغية استغلها الراوي لإقناع المتلقي والتأثير فيه.

- **التأكيد:** وأمثلته كالآتي:

أ- ولم تلاق بها عدوا أبدا: هو تأكيد مركب من نفي + لفظ أبدا، أي لم تلاق بها عدوا وإلى الأبد، قصد من خلاله الطمانينة والأمان واستمرار الحال فلا خوف من عدو مهما كان نوعه أبدا.

ب- قال لي:إن حول الجبل التي بها شجرة القماري: هو مقول قول مؤكد بـ إن، أي أن القول ثابت حقا أكيد لاشك فيه.

- **الرمز والصورة:** إن النص العدواني (شجرة القماري) أسطورة هامة تكشف بين ثناياها رموزا وصورا هامة تحيلنا إلى الزمن الماضي البعيد- الأساطير- وتكمن في:

أ-الكلب: ويذكرنا بأسطورة أهل الكهف، والكلب رمز الوفاء والأمانة وهو الأنيس والحارس الأمين.

ب-الثعبان: يذكرنا بالأساطير الشرقية القديمة كبلاد ما بين النهرين، بلاد فارس، الإغريق، وكيف كان دورها في الحروب وحراسة الجنة والنار وحماية الآلهة والملوك، فالثعبان رمز القوة والتحدي كما تصوره ملحمة جلجامش وميتولوجيا الإغريق وما ذكر اسم الثعبان إلا وهو صاحب القوة والعظمة، ومن يتصدى إليه ويقتله يعلق له وسام الإله كما هو الحال مع آرس إله الحرب، أوأرطيميس إلهة الصيد.

ج-الفيل: يحيلنا ذكره لأسطورة قديمة في شبه الجزيرة العربية، أكدها القرآن الكريم في سورة الفيل، والفيل يرمز للعظمة والقوة التي لاتغلب وأنه لايعرف النكوص والرجوع إلى الوراء.

وهاته الآليات التي ذكرناها كلها مقومات حجاجية استغلها الراوي في إنجاح فكرته .

خـــاتمـــــة:

خلاصة القول وبعد هذه الورقة البحثية التي صالت وجالت في ثنايا الموضوع يمكننا أن نستنتج مجموعة من النتائج:

01-الخطاب الأسطوري يحمل بين طياته مقومات حجاجية يستعين بها صاحب النص قصد الوصول إلى مبتغاه والمتمثل في إيصال فكرة معينة إلى جميع المتلقين والتأثير فيهم .

02-تحمل الروابط الحجاجية بعدين اثنين أولهما اتساق النص وانسجامه وثانيهما البعد الخفي الذي يقصد من خلاله التأثير والإقناع.

03-أسطورة (شجرة القماري) استطاع راويها الوصول إلى مبتغاه وذلك من خلال حشده للحجج المناسبة حتى يصبح الخطاب مستندا على أسس حجاجية مثبتة.

04- الأسطورة عبارة عن حكائية سردية تحمل جانبا ميتافيزيقيا يشد انتباه المتلقي على اعتبار أن النفس البشرية عادة ما تميل وتحبذ الغوص في عالم الغيب والخيال.

الملحق: نص الأسطورة

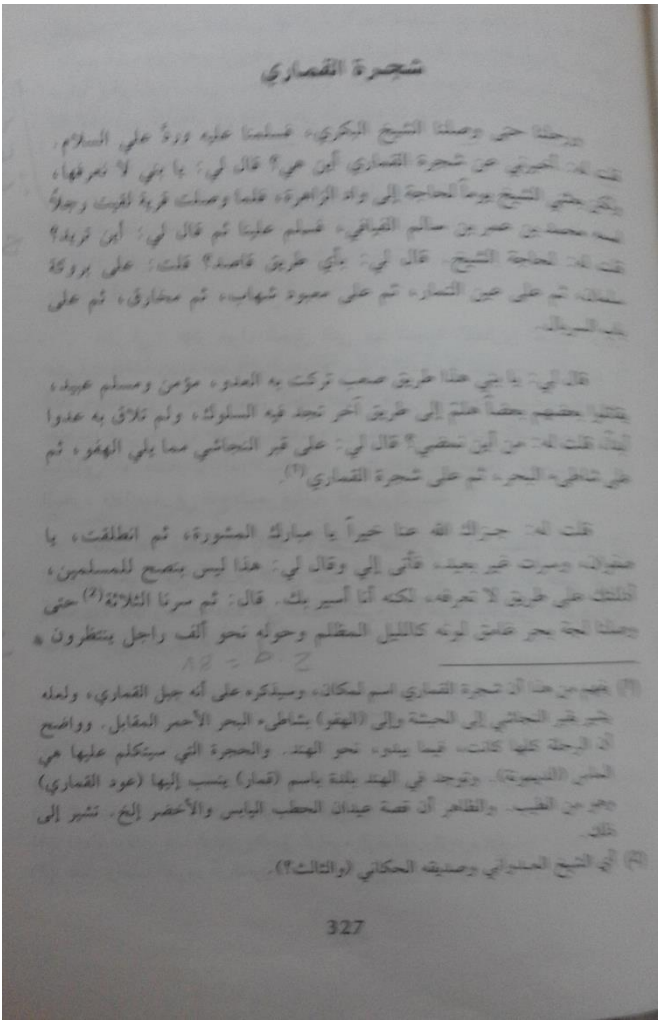

شجرة القماري

برحلنا حتى وصلنا الشيخ البكري، فسلمنا عليه ورد علي السلام، قلت له: أخبرني عن شجرة القماري أين هي؟ قال لي: يا بني لا نعرفها، وبقينا حتى الشيخ يوماً لحاجة إلى واد الزاهرة، فلما وصلت قرية لقيت رجلاً اسمه محمد بن عمر بن سالم القباقي، فسلم علينا ثم قال لي: أين تريد؟ قلت له: لحاجة الشيخ. قال لي: بأي طريق قاصد؟ قلت: على بروكة سيدان، ثم على عين النمار، ثم على معبود شهاب، ثم مبارق، ثم على باب السرباك.

قال لي: يا بني هذا طريق صعب تركت به العدو، مؤمن ومسلم عريد، يقتلوا بعضهم بعضاً، هلم إلى طريق آخر تجد فيه السلوك، ولم تلاق به عدوا أبداً. قلت له: من أين نمضي؟ قال لي: على قبر النجائي مما يلي الهفو، ثم على شاطئ البحر، ثم على شجرة القماري[1].

قلت له: جزاك الله عنا خيراً يا مبارك المشورة، ثم انطلقت، يا سيدات، وسرت غير بعيد، فأتى إلي وقال لي: هذا ليس بنصح للمسلمين، أدللتك على طريق لا تعرفه، لكنه أنا أسير بك. قال: ثم سرنا الثلاثة[2] حتى وصلنا لجة بحر عامق لونه كالليل المظلم وحوله نحو ألف راجل ينتظرون

(1) يفهم من هذا أن شجرة القماري اسم لمكان، وسيذكره على أنه جبل القماري، ولعله يشير بقبر النجائي إلى الحبشة وإلى (الهفو) شاطئ البحر الأحمر المقابل. وواضح أن الرحلة كلها كانت، فيما يبدو، نحو الهند. والحجرة التي سيتكلم عليها هي الحشر (البيمسوة). وتوجد في الهند بلدة باسم (قمار) ينسب إليها (عود القماري) وهو من الطيب. والظاهر أن قصة عيدان الحطب اليابس والأخضر إلخ. تشير إلى ذلك.

(2) أي الشيخ العشراني وصديقه الحكاتي (والثالث؟).

327

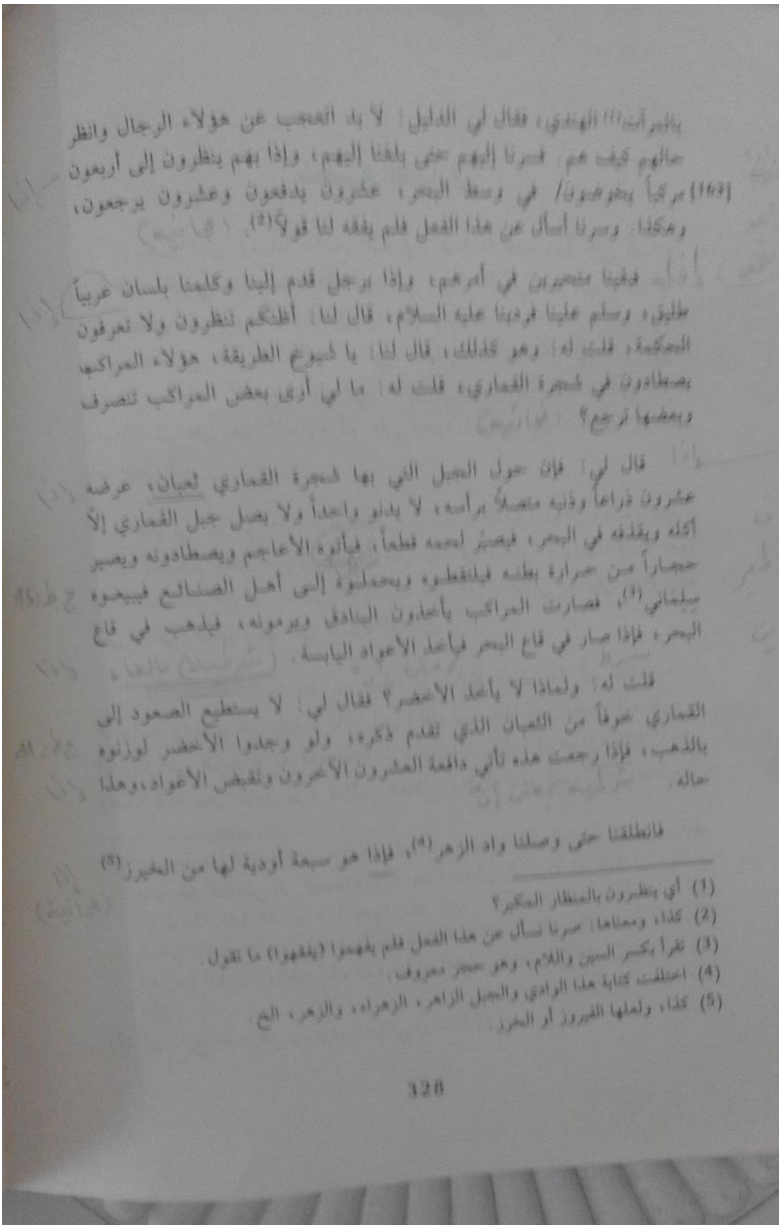

بالمراث!!! الهندي، فقال لي الدليل: لا بد التعجب عن هؤلاء الرجال وانظر حالهم كيف هم. فسرنا إليهم حتى بلغنا إليهم، وإذا بهم ينظرون إلى أربعون [163] مركباً يخوضون/ في وسط البحر، عشرون يدفعون وعشرون يرجعون، وهكذا. وسرنا أسأل عن هذا الفعل فلم يفقه لنا قولاً(2).

فبقينا متحيرين في أمرهم، وإذا برجل قدم إلينا وكلمنا بلسان عربياً طليق، وسلم علينا فردينا عليه السلام، قال لنا: أظنكم تنظرون ولا تعرفون الحكمة، قلت له: وهو كذلك، قال لنا: يا شيوخ الطريقة، هؤلاء المراكبي يصطادون في شجرة القماري، قلت له: ما لي أرى بعض المراكب تنصرف وبعضها ترجع؟

قال لي: فإن حول الجبل التي بها شجرة القماري ثعبان، عرضه عشرون ذراعاً وذنبه متصلاً برأسه، لا يدنو واحداً ولا يصل جبل القماري إلاّ أكله ويقذفه في البحر، فيصير لحمه قطعاً، فيأتوه الأعاجم ويصطادونه ويصير حجاراً من حرارة بطنه فيلقطوه ويحملوه إلى أهل الصنائع فيبيعوه سليماني(3)، فصارت المراكب يأخذون البنادق ويرمونه، فيذهب في قاع البحر، فإذا صار في قاع البحر فيأخذ الأعواد اليابسة.

قلت له: ولماذا لا يأخذ الأخضر؟ فقال لي: لا يستطيع الصعود إلى القماري خوفاً من الثعبان الذي تقدم ذكره، ولو وجدوا الأخضر لوزنوه بالذهب، فإذا رجعت هذه ثاني دافعة العشرون الآخرون ونقبض الأعواد، وهذا حاله.

فانطلقنا حتى وصلنا واد الزهر(4)، فإذا هو سبعة أودية لها من الخبز(5)

(1) أي ينظرون بالمنظار المكبر؟
(2) كذا، ومعناها: سرنا نسأل عن هذا الفعل فلم يفهموا (يفقهوا) ما نقول
(3) تقرأ بكسر السين واللام، وهو حجر معروف.
(4) اختلفت كتابة هذا الوادي والجبل الزاهر، الزهراء، والزهر، الخ.
(5) كذا، ولعلها الفيروز أو الخرز.

128

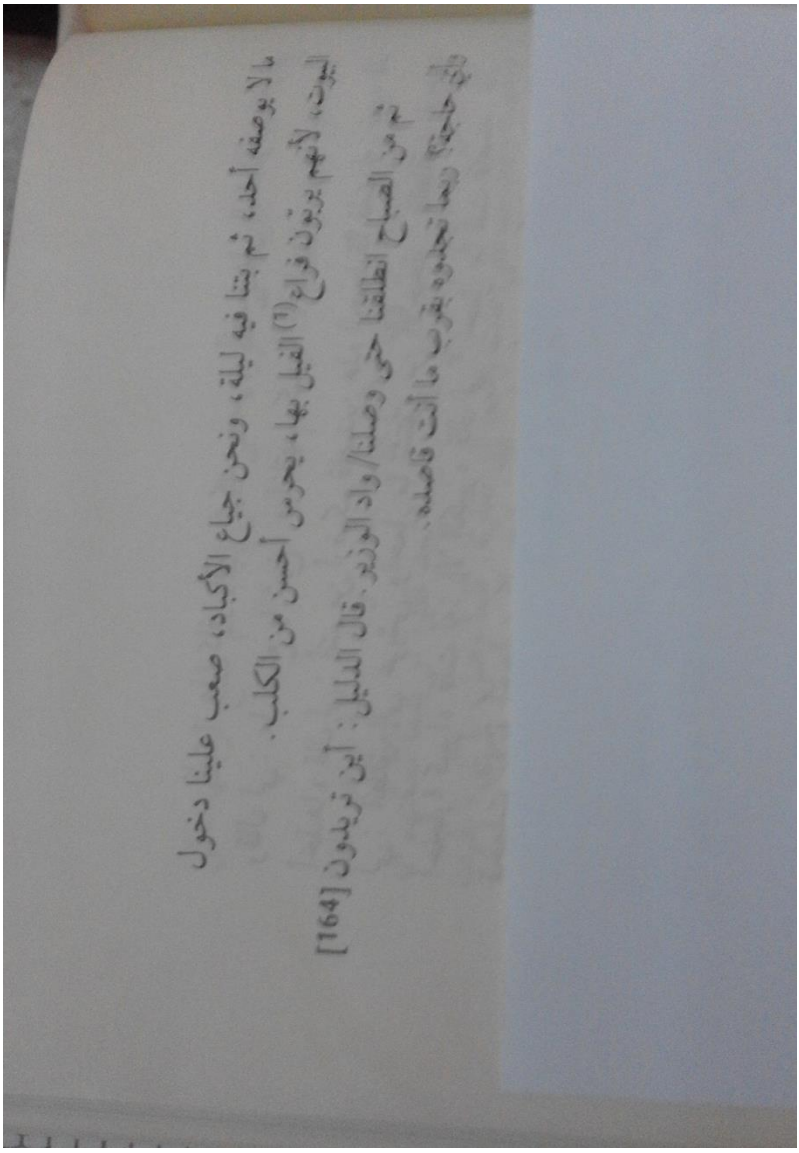

ما يوصفه أحد، ثم بتنا فيه ليلة، ونحن جياع الأكباد، صعب علينا دخول
البيوت، لأنهم يربّون فراخ[2] الفيل بها، يحرس أحسن من الكلب.
ثم من الصباح أطلقنا حمى وصلنا/ واد الوزير. قال الدليل: أين تريدون [164]
ذلك الجبل؟ وهما نجدوه بقرب ما أنت قاصده.

الهوامش :

[1]لسان العرب، ابن منظور، تح : عبد السلام محمد هارون، دار صادر بيروت، لبنان، ط 1، 1997 م، مج 2 مادة حجج، ص 5

[2]موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تح :علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط 1، مج1، ص 622.

[3]البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل أنموذجا، الحواس مسعودي، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع 12، 1997م، ص3 .

[4]الحجاج في الشعر العربي ، بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، 2011م، ص 21

[5] - المعجم الفلسفي ، مراد وهبة ، دار الثقافة الجديدة، مصر، ط3 ، 1979 م ، ص 393

[6] - المنهاج في ترتيب الحجاج ، أبو الوليد الباجي ، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3 ، 2000 . م، ص 8.

[7] - الحجاج في البلاغة المعاصرة، محمد سالم محمد الأمين، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008 م، ص 108.

[8] - لسان العرب، ابن منظور، مج 2 مادة سطر، ص 143.

[9] - تفسير الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير، ت: محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة مصر، د ط، د ت، مج 13 ، ص 502 .

[10]- المنجد في اللغة والأعلام، مجموعة من المؤلفين، دارالمشرق، بيروت لبنان، ط 29 ، 1987 م، جزء اللغة، ص 332 .

[11]- المعجم الفلسفي، مراد وهبة، دار قباء، القاهرة مصر، د ط، 1988، ص 61 .

[12]- المتقن (معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة)، سمير حجازي، دار الراتب الجامعية، بيروت لبنان، د ط، د ت، ص 141 .

[13]- فكرة الأسطورة، فضيلة عبدالرحيم، دار اليازوردي، عمان الأردن، ط1، 2009، ص22 .

[14]- أولية النص، طلال حرب، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت لبنان، ط1، 1999، ص92.

[15]- الأسطورة معيار نقدي، عماد الخطيب، دار جهينة للنشر، عمان الأردن، د ط 2006، ص 11.

[16]- تاريخ العدواني، محمد بن محمد بن عمر العدواني، ت: أبوالقاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1996م، ص 20.

[17]- ينظر المرجع نفسه، ص 17-43.

[18]- ينظر: الشيخ محمد بن عمر العدواني حياته ومآثره، علي غنابزية، مطبعة الرمال، ط 1، 2015م، ص 2 –7 .

[19]- تاريخ العدواني، مرجع سابق، ص13.

[20]- ينظر المرجع نفسه، ص 13-15.